اضرار المسكرات

لجناب نقولا افندي نمر . ب . ع (١)

ايها السادة والسيدات الكرام

افضل ما في الكون الانسان وافضل ما في الانسان عقله ثم جسدهُ فالانسان ملزوم طبعًا باستعمال الاسباب المناسبة لحفظ جسدهِ وعقلهِ وتقويتهما كالطعام والشراب واللباس والراحة والرياضة والتهذيب ولكن لسوء الحظ لم يقتصر الانسان على هذه الاسباب النافعة بل تجاوزها الى اسباب تماكسها تضعف الجسد والعقل وتعرضهما للآفات المختلفة. ومن جملة هذه الاسباب المضرة المسكرات التي جعلتها موضوعًا لكلامي هذا المساء فاقول

ان المسكرات انواع عديدة ولكنها كلها تراكيب الكحولية تستخرج اما من عصير بعض الفواكه كالعنب والتمر او من اختلاط بعض الزيوت الطيارة على مقادير قانونية. والضرر فيها جميعها حاصل من مبدإ سام فيها يقال له الالكحولسموس . وهي على اختلاف انواعها وتراكيبها متشابهة في الصفات والخواص فتؤثر كلها في الجسد تأثيرًا واحدًا الاَّ ان تأثيرها يختلف في الشدَّة باختلاف مقدار المبدإ السام الذي فيها. وكما ان للمسكرات تأثيرًا عظيمًا في جسد الانسان لها ايضًا تأثير قوي في عقلهِ وآدابهِ حتى اذا شرب مقدارًا وافرًا منها فعلت بهِ فعلاً ذريعًا ولذلك اقسم موضوعي الى ثلاثة اقسام بالنسبة الى فعل المسكرات

القسم الاول * فعل المسكرات في العقل

فعل المسكرات في العقل على ثلاث درجات الاولى درجة التنبيه وهي انهُ بعد ما يشرب الانسان المسكر يهيج فيهِ المجموع العصبي والدوري او الدموي ويدل على تهيجها سرعة النبض واحمرار الوجنة وتألُّق العينين واحمرارها ونشاط القوى العقلية واشتداد العواطف ولا سيما الاهواء البشرية ونسيان الهموم والى هذه الدرجة اشار الشاعر بقولهِ: قم اسقنيها وليل الهم منهزمٌ

والدرجة الثانية درجة السكر وفيها يفقد الانسان نظام قواهُ العقلية فيهذي كالمجانين ويحصل لهُ غثيان وقيءٌ ويشعر بميل شديد للنوم ويعرق عرقًا غزيرًا ويصيبهُ صداع اليم وانحطاط عام في كل جسدهِ وتفقد قابليتهُ للطعام . والدرجة الثالثة درجة السبات ودلائلها تباطؤ النبض والتنفس وانتباض حدقة العين او انبساطها والتشنج والسبات الثقيل وقد يعقبهُ الموت فيموت السكير مخنوقًا من شلل عضلات التنفس. وهذه الدرجة الاخيرة تحدث من شرب مقادير مفرطة من المسكرات في وقت قصير. وعدا عمَّا ذكرتهُ قد تحدث المسكرات امراضًا كثيرة تستولي على عقل الانسان كالمرض المعروف بهذيان السكارى او الهذيان المرتجف فهو علة تفعل في الجهاز العصبي عمومًا من قبل شرب الاشربة

(١) وهي خطبة القاها في احدى جلسات الجمعية العلمية في المدرسة الكلية

الروحية مدة مستطيلة . واذا طالت هذه العلة احدثت اعراضاً اخر مختلفة منها رجفان العضلات والرؤى الكاذبة وفقد الحواس وضعف القوى العقلية وضعف الهضم الى غير ذلك من الاعراض المزعجة . وقد يصيبهُ المرض المعروف بالابوسانيا او الجنون الخمري وهو نوع من الجنون الاعتيادي يصيب المولعين بالمسكرات والمدمنين على شربها ويصير مرضاً يورثهُ الاب لابنهِ وفيهِ يفقد العليل قواهُ العقلية وينجب من اسباب جزئية ويعمل اعمالاً غير اعتيادية ولا يزال هذا المرض يقوى عليهِ حتى يتحوَّل الى الجنون الاعتيادي . وقد يصاب بالاختلال والجنون الاعتيادي اللذَين هما على رأيِ الفيسيولوجيين والاطباء مرضان عصبيان يحدثان اختلافاً في تركيب الدماغ وثقلهِ لا بل ينسدان تركيبهُ بحيث يصير غير قادر على اتمام وظائفهِ اي بحيث يصير غير قادر على ان يعقل . ولربما سأل سائل وكيف يحدث الهذيان المرتجف من السكر فاقول ان المبدأ السام الذي ذكرتهُ اي الالكحولسموس يختلط بالدم ويسير معهُ الى الدماغ واذ لا منفذ لهُ هناك ينسد تركيب الدماغ فتتعطَّل القوى العاقلة . وكل مَنْ بحث في علم الطب تأكَّد جليًّا استعداد السكارى للامراض العقلية التي ذكرتها وشاهد وقوعها في كثيرين منهم وما احسن ما قالهُ ابن الوردي

وابجر الخمرة ان كنت فتى كيف يسعى في جنونٍ مَنْ عقل

القسم الثاني * فعل المسكرات بالجسد باعتبار الصحة والمرض

قبل البحث في هذا القسم نلتفت قليلاً الى ما يحدث في المسكرات بعد دخولها المعدة . لا يخفى ان الدم يخرج من القلب ويدور في جميع اجزاء الجسد ليقضي عدة وظائف مهمة اخصها تغذية الجسد لاجل نموهِ وحفظهِ من الانحطاط وتوزيعهُ عليهِ عنصراً يقال لهُ الاكسجين يكتسبهُ من الهواء الذي يستنشقهُ الانسان فاذا دخلت المسكرات المعدة سارت الى الدم كما هي ودارت معهُ وفيما هي تدور معهُ تتحد بالاكسجين الذي كان حقهُ ان يصرف في حفظ الجسد وتغذيتهِ فيخسر الجسد عنصراً ضرورياً لحفظهِ ونموهِ فيمسي ضعيفاً مختلاً عرضةً للادواء . هذا فضلاً عن ان الرئتين والكبد والمعدة والكليتين تصير غير قادرة على اتمام وظائفها كما ينبغي لان ذلك يتوقف على الاكسجين المحمول اليها في الدم . ويريب فيها الالكحولسموس فتلتهب الرئتان من رسوبهِ في خلاياها الهوائية فلا تتمان وظائفها حتى تتهيجا وتلتهب الكبد وتحتقن لعدم قضاء وظيفتها الضرورية التي هي افراز الصفراء فيصيبها الصفار المزمن . وتتعطَّل غشاء المعدة المخاطي فيحدث فيهِ الزكام الحاد والمزمن والقروح المعدية او غير ذلك من الامراض الخبيثة التي يعسر شفاؤها جدًّا فضلاً عن الامراض العصبية كالصرع والشلل والفالج . على ان ابطال المسكرات يفيد في شفاء الامراض البدنية لان الاكسجين يتجدَّد بواسطة المغذية والمادة التي رسبت في الرئتين او الكبد او المعدة او الكليتين تُفرَز منها شيئاً فشيئاً . وربما ظن البعض ان المسكرات ضرورية في البرد والحزن والفرح

والم ونحوها ولكن ذلك بعيد عن الصحة بمراحل . ومما لا يليق اهمال ذكره ويجب ان يعرفهُ كل من شرب المسكرات انهُ اذا نجا السكير من نتائج سكره وظن نفسهُ قد سلم من اضراره فجأتهُ موقتة وظنهُ فاسد لان السكر لا بد من ان ياخذ منعولهُ اذا لم يكن في الاب ففي الابن بعد ابيهِ واحيانًا يتأخر فعلهُ عن الظهور فلا يظهر الاَّ في الاحفاد . وقد تقرَّر بالمشاهدات ان مزاج اولاد السكيرين معرض للامراض التي عدَّدتُها آنفًا وهي جميعها امراض وراثية تنتقل من الوالد الى ابنهِ وابن ابنهِ . فاي اب يريد ان يورث ابنهُ هذا الميراث القبيح وراثة شرعيةً بل وفقًا مؤبدًا لا يباع ولا يعار ولا يزول الاَّ اذا افنتهُ الازمنة اواي طبع وشيمة وحتو بشري يقدم على ذلك غير مكترث لعواقبهِ الوخيمة

القسم الثالث * فعل المسكرات بالآداب

اني قصرت الكلام في القسمين السالفين على اضرار المسكرات العقلية والجسدية والآن اذكر شيئًا من اضرارها الادبية *

الآداب قوى من جملة قوى النفس كالقوى العاقلة ولكنها اسمى منها كثيرًا لان الشرف الانساني مناط بها فهي المميز الحقيقي للانسان والحافظ للهيئة الاجتماعية . والمسكرات تميت هذه القوى شيئًا فشيئًا فينصور السكيرُ حالتهُ على غير ما هي حقيقةً . يفتخر بنفسهِ ويحقر الغير ويفعل افعالاً ينفر منها الطبع ويستخدم لسانهُ لكل كلمة سفيهة ويديهِ لكل عمل قبيح وقوتهُ في كل فساد وخراب ويرتكب القبائح ويكره العمل ويرتضي بالذل والخمول والدناءة

ثم لا يخفاكم انهُ اذا انحطت اوربا واميركا عمَّا هما عليهِ الآن لا يكون ذلك الاَّ بالسكر . فان هذه الآفة لم تبلغ في المسكونة ما بلغتهُ هناك من الشدة والعظمة . فقد عدلت اضرار المسكرات في اميركا مدة عشر سنوات فكان ما انفق عليها في تلك المدة ٣٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ فرنك ومَنْ قُتِل بسببها نحو ٢٠٠ ٠٠٠ نفس وما حُرِق بجريرتها نحو ٥٠٠ ٠٠٠ فرنك ومات بتلك الحريقات ٣٠٠ ٠٠٠ وترمَّل ٣٠٠ ٠٠٠ امرأة ويتِّم ١٠٠ ٠٠٠ وسُجن بسببها ١٥٠ ٠٠٠ نفس وقس على ذلك انكلترا وفرنسا وغيرها . ومالي اعدّد الخسائر التي حصلت من المسكرات في البلاد الاجنبية واسبل ذيل النسيان على نتائجها في بلادنا هذه التي اخذت عن الافرنج اكثر ما خبث وتركت اكثر ما طاب فترى سوق المسكرات رائجةً في مدننا واي رواج ولا سيما الخمور الافرنجية التي ضررها اعظم بما لا يقدَّر من ضرر خمور بلادنا لانها ليست من عصير الكرم بل من ارواح سامَّة بخسة الثمن شديدة الاذى

فاذا ايها السادة هل صار المشتغلون في تقدم البلاد اكثر من المطلوب حتى نحتم برجالنا ان يموتوا موتًا اديبًا . كيف نخرب عقولنا بايدينا بدلاً من ان نثقفها ونهذبها . كيف ننهك اجسادنا بالمسكرات بدلاً من ان نقويها ونروضها . كيف نثلم صيتنا وآدابنا ونحن نعلم ان الصيت خير ما تملكهُ والادب اشرف ما نزدان بهِ . اذا لم نقطع آفة السكر من اصلها اذا لم نلتفت الى السم الكامن في دسم

الكأس اذا لم نعلم ان السكير لا يصلح ان يكون عالمًا ولا مشترعًا ولا تاجرًا ولا صانعًا ولا زارعًا ولا رب بيت ولا ابا اولاد بل اذا لم نعلم ان السكير لا يصلح ان يكون فردًا من افراد البشر. فلتحقق ان الويل قادم وهولَ هذا الشر عظيم. غيري يقول بالاقلاع عن عوائد الجهل والقباوة وانا اقول يجب ان نقلع عن هذه وتلك فالجهل البسيط خير من الجهل المركَّب لاننا اذا اعتنينا باستئصال ما رسخ اصلهُ عندنا من العوائد المضرَّة بعض الضرر ولكن مهدنا التربية وأكثرنا الريّ لعوائد كلها ضرر فباطلاً يعمل العاملون وحقًّا نكون كالمستجير من الرمضاء بالنار

تاريخ الساعات

نقلاً عن كتاب في الفلسفة الطبيعية تحت الطبع

كان القدماء يقسمون الوقت بآلات كلّية البساطة اقدمها المِزْوَلة (اي الساعة الشمسية) والساعة الرمليّة والساعة المائيّة وهي عبارة عن كوبة مثقوبة تُملأ ماء وتُوضَع فوق وعاء فيهِ جسمٌ خفيف فيترل الماء من ثقبها الى الوعاء ويطفو الجسم الخفيف عليهِ فيُستعلَم الوقت من ارتفاع ذلك الجسم. وقد تفنّن العرب كثيرًا في هذه الساعة وافنوها اتقانًا عظيمًا ويُقال ان الخليفة هرون الرشيد اهدى شارلمان الافرنجي ساعة بديعة الصنعة في القرن التاسع. وروى المؤرّخون ان ملك الانكليز ألفرد الكبير كان يقسم الوقت باضاءة شمع متساوي الحجم فيوقد كل يوم ست شمعات ويضعها ضمن علب من قرن الحيوان لمنع عنها مجاري الهواء فيستعلم الوقت منها. ولم تُستعمَل الساعة في اوربا قبل القرن الحادي عشر والظاهر انها نُقلت اليها عن العرب ولا استُعمِل الرقّاص فيها قبل اوائل القرن السابع عشر. ولمّا صنعوا الساعة الأولى في بلاد الانكليز سنة ١٢٨٨ ب. م. كان لها عندهم قيمة وسماع حتى انهم وكّلوا بها رجلاً من ذوي المراتب السامية. وكانت ساعات هاتيك الازمان على غاية من الاتقان تدلُّ على حركات الاجرام السماوية ويخرج منها الطيار مغرّدة وديوك صائحة وجنود مبوّقة واجراس رنّانة واساقفة وخوارنة ورهبان وضبّاط وقوّاد مختلفة الملابس والهيئات وتمرُّ حول مبناها مخبرة بالوقت. وفي القرن الخامس عشر صُنِعَت الساعات الصغيرة في مدينة نورمبرج بالمانيا وكانت تُسمَّى بيض نورمبرج وشاع استعمالها في القرن السادس عشر فكان منها ما هو صغير كساعات هذه الايام وما هو كبير كالصحون. غير انها كانت تُدوَّر مرّتين في اليوم ولم يكن فيها عقرب للدقائق ولا للدقائق وكانت مع ذلك عسرة العمل مؤلّفة من ٨٠٠ قطعة. وفي سنة ١٦٥٨ اخترع الدكتور هير الزُنبرك فصارت الساعات الصغيرة تجري بدقّة الرقّاص. وتسهّل عملها كثيرًا فلا يوجد الآن في الساعات الصغيرة المعروفة بساعات ولنهم اكثر من ١٢٠ قطعة. وقد برع اهل هذا الزمان في صنع الساعات براعة غريبة حتى ان بعضها لا يخلُّ اكثر من دقيقة في نصف سنة